«میدیا»

چان آنُویّ

مقدمة

جان آنوى كاتب مسرحى أساسًا ، وفوق كل شىء .. وهو من الكُتّاب الذين لم نعد نجد منهم الكثير فى هذا الصدد ، فلا يكاد يُعرف عنه شىء إلا ما يكتب للمسرح ، ولا تكاد تكون له تلك «الشخصية العامة» التى نعرفها عند معظم الكتّاب المعاصرين . وهو لا يكاد يكتب شيئًا إلاّ للمسرح ، ولا يكاد يعيش إلاّ حياة المسرح ، وهو لا ينضوى تحت لواء مدرسة أدبية أو فلسفيّة ، ولا يكتب شيئًا فى الصحف ، ولا يشرح أو يفلسف مسرحياته ، وليست له – كما يقول – «سيرة يسردها» . ظلّ ، رغم شهرته العريضة ، يُؤْثر العزلة والبعد عن الأضواء ، كأنما كان يكتب ، وحده ، لعالم المسرح الخاص الغريب وحده .

نحن نعرف أنه ولد فى «بوردو» فى سنة ١٩١٠ ، من أسرة من الطبقة الوسطى الفقيرة ، وأنه لم يكمل دراسته لأسباب مالية ، وأنه انقطع عن دراسة الحقوق ليشتغل فى دار للإعلان ، وأنه – بعد أن قضى فترة الخدمة العسكرية – عمل سكرتيراً للممثل الشهير «لوِى جوڤيه» .

ونحن نعرف أيضًا أنه كان منذ صباه الباكر مفتونًا بالمسرح – وليس ذلك بالشىء الغريب فى نهاية الأمر – وأنه أخذ يحاول كتابة مسرحيات شاعرية منذ كان فى الثانية عشرة من عمره ، وأنه راح يشهد المسرح بانتظام فى فترة دراسته الثانوية فى باريس منذ كان فى

الخامسة عشرة ويقرأ المسرحيات بكل ما يمكن أن نتصوره لدى فتىً سَحَره المسرح من نهمٍ وإقبال ، كما نعرف أن «چيرودو» صاحب مسرحية «سيجفريد» قد «فتح له مفتاح سرٍ ظل مفقوداً مدة طويلة» .

فى ٢٢ أبريل ١٩٣٢ وثب اسم الكاتب المسرحى الشاب الجديد «چان آنوى» إلى قمة الشهرة ، فى ليلةٍ واحدة . ليلة «البروفة العامة» لمسرحية «السمّور الأبيض» أو «القاقم» .

ولكنّ الشهرة الذائعة لم تستطع أن تغيّر شيئًا من حياة هذا الكاتب، كما لم تستطع أن تغير منها دراسةُ الحقوق ، ولا العمل فى الإعلان ، ولا متاعب الفقر التى عانى منها الكثير فى حداثته .

وإذا كانت هذه التجربة المريرة – تجربة الفقر – هى التى طبعت طفولة آنوى وصباه بطابعها القاسى ، فإن لنا أن ندرك سر إلحاح هذه التجربة عليه فى عمله الفنى . فهذا كاتب لم تكد تتاح له حياةٌ خاصة يحياها خارج عالم المسرح ، وهو إذن يحيا حياته كلها مع شخصيات مسرحياته ، إنه يكتب للمسرح ما كان مقدراً له أن يعيشه فى الحياة . كأن «چان آنوى» الكاتب المسرحى يمتص التيار المتدفق من دماء الحياة التى كان مقدراً لها أن تسرى فى شرايين «چان آنوى» الإنسان .

ولكن هذه التجربة تأتى عند «آنوى» فى سياق تصور درامى مميز. ففى البدء ، عند «آنوى» كانت السعادة .. والسعادة دائمًا كنز مضيّع مفقود . جنة يطرد منها الإنسان منذ الحداثة الأولى ، ويظل يفتقدها أبدًا ، ويتوق إليها أبدًا ، ولا يبلغها قط، ثم يأتى بعد ذلك الفقر . الفقر ،

عنده . دائمًا ، يأتى مع كل قذارات الحياة ، وسواء كانت هذه القذارات مادية أم معنوية ، فهى على أىّ حال تسمم حياة شخصياته المسرحية ، وتلطخها ، ولا خلاص منها إلا باقتضاء الثمن النهائى الفادح الأخير ..

وفى كل مسرحيات «آنوى» على وجه التقريب ، نجد هذا الصراع القذر مع أدران الحياة يلعب دوراً رئيسيًا ، كأن هذه المرارة قد تركت عنده بصمات لا تُمحى ، ودفعته دفعًا إلى نوع من التمرّد المستمر . ولكنه تمرّد ليس بالسياسى ، ولا بالاجتماعى . بل يوشك أن يكون ثورة ميتافيزيقية لا حلّ لها ، ثورة على «هذا الأمل القذر» ، على «هذه السعادة القذرة» .. على هذه «الحياة التى شدّ ما هى دميمة شوهاء» . هو تمرّد لا حلّ له إلا بالاتجاه إلى الموت .

هذا التوقُ ، إذن ، إلى صفاء مطلق لا وجود له فى العالم ، الشوق إلى طهارة كاملة كليةٍ براءٍ من كل دَنَس هو حلم مسيطر على كل أعمال «آنوى» الرئيسية ، ونغمة من النغمات الأساسية فى مسرحه .

نحن نجد ذلك فى أعماله المسرحية «آنتيجون» و «چانيت وروميو» و «المتوحشة» كما نجده فى «ميديا» .

ونحن نجد نفس نغمة الرفض ، والتمرد على الماضى المثقل بالذّل والفقر والقذارة فى مسرحيات «السمّور الأبيض» و «مسافر بلا متاع» و «بيتوس المسكين» .

فى مسرحية «أوريديس» ، كمثال آخر ، لا نجد شيئًا من جلال الأسطورة اليونانية القديمة ، بل نجد أنفسنا أمام فاجعة معجونة حقًا

بأدران الحياة اليومية السوقية المبتذلة ، ولكننا نسمع أيضًا النغمات المألوفة فى مسرح «آنوى» : الوحدة المضروبة على الإنسان لا مفر له من أن يبلوها ، ولا أمن له من وحشتها ، والقذارة التى على الإنسان أن يخوض فيها ، مطالبًا بالنقاء الخالص ، ومناديًا بالطهارة الكلية ، سطوة القدر المخطط المحتوم ، لا معدَى من أن يسير فى مجراه المرسوم ، ثم نداء الحب المنبثق من أجساد معذبة ، والهوى الحسّى المشبوب المشرب بحنان موجع . وأخيرًا الموت ، الملاذ النهائى الذى فيه طاعة القدر ، والذهاب إلى ملاقاة الموت فى تسليم كأنه الكبرياء .

إن النغمات الرئيسية التى سوف نجدها فى «ميديا» هى احتقار السعادة الهيّنة، والسعى إلى أمجاد لا تُنال إلاّ بالتضحية بالعالم والحياة، ووضع الحب ، والوفاء ، موضعًا أسمى ، بما لا يقاس ، عن موضع الراحة والاستقرار والإخلاد إلى طمأنينة عاقلة يسيرة لا يمكن أن تتأتّى إلاّ عن أنصاف الحلول ، والتنازلات ، كما نجد أيضًا النغمة المألوفة التى تزدرى عامة الناس إذ يتوجسون خيفة من الدخول فى غمار المغامرة ، ويُؤْثرون العيش الرخىّ، مع التسليم والخضوع، بدلاً من اقتحام المخاطر فى سبيل استجابة النداء القوى للنقاء الكلّى والخلاص المطلق من كلّ الأوشاب ، ولو كان معناه قبول الموت .

تناول «چان آنوى» «ميديا» الأسطورة ، و «ميديا» المسرحية ، لكى يبث فيها نَفَسًا جديداً من عنده ، وإذا كان «آنوى» قد استلهم بالفعل نغمات كثيرةً من «يوريبيديس» و «سينيكا» ، بل أوشك فى بعض المواضع أن يورد نصوصًا مترجمة عنهما ترجمة مطابقة ، فإنه من الواضح مع

ذلك أنه خَلَق «ميديا» جديدة ، وأعطاها روحًا حديثة وأكسبها معنى معاصرًا آخر، أقرب إلى حساسيتنا وأدخل فى نطاق الثقافة المعاصرة ، وأطوع – على أىّ حال – للتعبير عن القضايا والمواقف التى تهم «آنوى» وتشغله فما يزال يلح عليها مرة بعد مرة ، فى مسرحية تلو مسرحية ، حتى لتكاد هذه المواقف والقضايا، بالذات، يتكون منها قوام مسرح «آنوى» كله .

«ميديا» عند «آنوى» تعالج موضوعًا من الموضوعات التى يلح عليها «آنوى» وتشغله ، هو هذا الهوى الحسىّ العنيف . ولكن «ميديا» نموذج متميز ، فهى المرأة التى تتعذب لأنها امرأة ، وهى تشقى بأنثويّتها نفسها ، وتتمرد على هذه الأنثويّة . إنها تتوق ، فى عمقٍ مكنون من أعماق نفس المرأة فيها، أن تعود فتصبح ، فى الواقع ، رجلاً . نحن هنا إذن بإزاء علاج درامى نادر لموقف من المواقف التى لم يُكشف عنها، على نحو مستفيض مدروس ، إلاّ فى أعمال علم النفس التحليلى . موقف البنت التى تحسّ بقصورها عن الولد ، وبما ينقصها عنه ؛ إذ تكتشف حرمانها من صولجان الذكورة ، وتتوق إلى المساواة به .

* * *

«ميديا» عند «آنوى» هى المرأة الذئبة التى أُحبِط حبها ، فأثار ذلك عندها كوامن النقص الدفينة ، وإذا هى تتخلى عن دورها الأنثوى السلبى المألوف ، وتتنازل نهائيًا عن حلمها بأن تكون «ميديا» السوية المحبوبة التى تحيا حياة الزواج الطبيعية ، وإذا هى تنقلب – كأنها رجل، كأنها هى أيضًا «چاسون» – چاسون آخر قد تقمصه جسد «ميديا» –

فتصبح عاملاً فعالاً ، إيجابيًا ، يسعى إلى الهجوم والافتراس والمبادأة ، ولو كان ذلك يصل بها إلى حد الجريمة الفظيعة المروعّة . وبذلك يتحقق انتقامُها الفذّ ، وتتمرد ، فى حركة رفض كامل ، على ما كان مقدّرًا عليها من البقاء فى وضع المرأة ، فهى إذن تكمل النقص الذى كان مفروضًا أن يكمله الرجل ، وتعوّض السلبية التى كان مفروضًا أن يعوضها لها الرجل ، بأن تضرب ، وتدمر ، وتؤثّر ، بيدها ، على مجرى الأحداث ، تأثيرًا دراميًا محكمًا .

ولكنها قبل أن تصل إلى هذه الذروة الباهرة ، تمر بتنويعات فى غاية الرهافة ، مما يكشف عن نفاذ بصيرة خارق عند «آنوى» المسرحى العتيد . ومن هذه التنويعات التى يجتازها حب «ميديا» فى رحلته نحو النهاية ، نشير إلى هذا التكامل بين الرجل والمرأة ، وهذا الاندماج التام بين الجسدين ، بل هذا التوحد الذى ينصهران فيه مع العالم كله . ثم إذا مرّت هذه المرحلة انتقلنا إلى عشق «ميديا» لذاتها ، وإلى نوع من الجنسية المثلية يفصح عنه حديثُها ، ثم نجد انفجارًا لحسها الحاد المتوهج بقصورها ونقصها أمام الرجل ، ونجد ، قبل النهاية مباشرة ، عودة لا أوْبة منها ، إلى أمنية ساذجة تعرف «ميديا» أنه مقضىٌّ عليها بالحبوط ، أمنية الرجوع إلى مأمنٍ مفقودٍ لا عودة له ، ماضى البراءة الطفليّة الأولى ، الجنّة الضائعة .

فإذا وصلت الفاجعة إلى نهايتها المحتومة، وضربت «ميديا» ضربتها، نجدها عند «آنوى» تذهب إلى الموت ، فليس فى الحياة أبدًا عوض عن المطلَق ، عن الشىء الذى لا تشوبه لوثة واحدة . والنار هى المطهّر الكامل،

ولا يعود يبقى من «ميديا» إلاّ حفنة من رماد نظيف . إنها لن تعرف أبداً بشاعة الشيخوخة وقذارتها ، ولن تستسلم أبداً للحلول الوسطى ، ولن تقبل أبداً التنازلات الصغيرة التى ينبغى قبولها فى سبيل الراحة ، أو السهولة ، إنها دائمًا على استعداد لأن تلعب اللعبة دون خداع ، حتى النهاية .

هذا هو عالم «چان آنوى» .

الأشخاص

مـيـديا
چاسـون
كِـرِيَون

المُرضِـع
الصـبى
الحـارس

عند ارتفاع الستار ، ميديا والمرضع على المسرح قاعدتيْن القرفصاء أمام عربةٍ من عربات السفر ، موسيقى وأغان غير مستبينة ، من بعيد . ميديا والمرضع تصغيان .

ميديا : أتسمعينها ؟

المرضع : ماذا ؟

ميديا : السعادة . هائمة .

المرضع : إنهم يغنّون فى القرية ؛ فلعل اليوم عندهم عيد .

ميديا : إننى أمقت أعيادهم . إننى أمقت أفراحهم .

المرضع : لسنا من أهل هذه الناحية .

(صمت)

أما عندنا فالعيد يأتى أكثر تبكيراً، فى يونيو. وترشق البنات أزهاراً فى شعرهن، ويصبغ الفتيان وجوههم بالأحمر، من دمائهم، وفى بكرة الصبح بعد أن تضحى الأضاحى الأولى، مباريات المصارعة. ما أجملهم، فتيان كلوشيد، عندما يتصارعون..

ميديا : اصمتى .

المرضع : وبعد ذلك يروضون الحيوانات الوحشية طيلة النهار. وفى المساء كانوا يشعلون مواقد عظيمة أمام قصر أبيكِ،

مواقد عظيـمة صفراء من أعشاب تعـبق بالشذى النفاذ.
أنسيت أنتِ ياصغيرة، شذى أعشاب بلدنا؟

مـيـــديا : اصمتى . اصمتى يا امرأة.

المرضـع : آه. إننى عجـوز. والطريق طويل طويل.. لماذا، لماذا سافرنا ياميديا؟

مـيـــديا : (تصيح) سافرنـا لأننى كنت أحب چاسون؛ لأننى من أجله سرقت أبى، لأننى من أجله قـتلت أخى. اصمتى يا امـرأة، اصمـتى. أتظنين من الخـيـر أن يعيـد المرء، ويزيد، قول هذه الأشياء؟

المرضـع : كـان لك قـصر حـيطانُـه من الذهب، وها نحن الآن، قاعدتين القـرفصاء كأننا شحـاذتان، أمام هذه النار التى ماتنى تخبو وتنطفىء.

مـيـــديا : فاذهبى هاتى شيئًا من الخشب.

(تنهض المرضع وهى تئن، وتبتعد)

مـيـــديا : (تصيح فجأة) اسمعى.

(تعتدل)

(وقع خطى على الطريق)

المرضـع : (تصغى ثم تقول) لا. إنها الريح.

تعود ميديا فتقعد القرنصاء من جديد
تُسمع الأغانى على البُعد من جديد.

المرضع : لا تنتظريه بعد، ياقطتي، فأنت تعذبين نفسك. لو كان ذلك عيدًا هناك حقًا، فلابد أنهم قد دعوه إليه. إنه يرقص، چاسون يرقص مع بنات بيسلاچ، وها نحن هنا، كلتينا.

ميديا : (بصوت مكتوم) اصمتي ياعجوز.

المرضع: صمتُ.

صمت. تركع المرضع على يديها وقدميها لتنفخ في النار. تُسمع الموسيقى.

ميديا : (فجأة) أتشمين؟

المرضع : ماذا ؟

ميديا : هذا نَتَن السعادة يهبّ حتى هذا المرتفع من الأرض. على أنهم قد أنزلونا بعيدًا عن قريتهم. كانوا يخافون أن نسرق فراخهم في الليل.

(تعتدل. تصيح).

ماذا دهاهم حتى يغنوا ويرقصوا؟ هل أنا أغني، هل أرقص؟

المرضع : إنهم في بلدهم. وقد انقضى نهارهم.

(فترة. تحلم) :

هل تذكرين. كان القصرَ أبيض، في نهاية الممشى الذي تحفّ به أشجار السرْو، بعد أن يعود المرء من النزهات الطويلة..

كنت تسلمين جوادك لعبْد، وتلقين بنفسك على الأرائك. وعندئذ كنت أدعو جواريك فتغتسلين وتلبسين ملابسك. كنتِ السيدة وبنت الملك، ولم يكن هناك ما يعزّ عليك أن تحصلى عليَه. كانوا يخرجون لك الثياب من الصناديق فتختارين، هادئة، عارية، والفتيات يدلّكن لك جسمكِ بالطيب.

ميديا : أصمتى يا امرأة، ما أغباك. أتظنين أننى نادمة لضياع قصرٍ، وثياب، وعبيد؟

المرضع : الفرار. الفرار. دائمًا منذ ذلك الحين.

ميديا : كان باستطاعتى الفرار دائمًا.

المرضع : مطاردتيْن، مقهورتيْن، نهبًا للازدراء، بلا وطن، بلا بيت.

ميديا : نهبًا للازدراء، مطاردة، مقهورة، بلا وطن، بلا بيت، لكنى لست وحيدة.

المرضع : وتجرّيننى وراءك، فى شيخوختى. فإذا مت، أين تتركيننى؟

ميديا : فى حفرة، فى أى مكان على حافة طريق، أيتها العجوز، وقد قبلت هذا، أنا أيضا. لكنى لست وحيدة.

المرضع : إنه يهجرك ياميديا.

ميديا : (تصيح) لا.

(تكفّان)

اسمعى.

المرضع : إنها الريح. إنه العيد. فلن يعود الليلة أيضًا.

ميديا : أى عيدٍ ذاك؟ أية سعادة تلك التى يفوح منها، حتى هنا صنان عرقهم ونبيذهم الغليظ وسمكهم المقلى؟ ماذا دهاكم يا أهل كورينث حتى تصيحوا وترقصوا؟ أى حدَث بهيجٍ يحدث هذا المساء. فيهصرنى ، ويخنقنى؟ أيتها المرضع، أيتها المرضع، إننى حبلى هذا المساء. إننى موجَعة وخائفة كما يحدث عندما كنت تساعدينني على شد طفل من داخل بطنى. ساعدينى أيتها المرضع. إن شيئًا يتحرك فى داخلى كما كان يحدث فى الماضى، وهو شئ يقول لأفراحهم هناك: «لا». هو شىء يقول لسعادتهم: «لا».

(تحتضن العجوز، وهى ترتعد)

إذا صرختُ أيتها المرضع فسوف تضعين قبضتك المضمومة على فمى. وإذا تململتُ وتخبطتُ فسوف تحتضنيننى، أليس كذلك؟ لن تتركينى أتعذّب وحدى آه، ضمينى إليك يامرضع، ضمينى إليك بكل قواك. ضمينى كما كنت تفعلين وأنا صغيرة، كما كنت تفعلين ليلةَ أوشكتُ أن أَموت وأنا ألِد. أنا الليلة حُبلى بما هو أضخم منى، وأكثر حياة، ولست أعرف ما إذا كنتُ سوف أقوى على..

صـــبى : (يدخل فجأة، ويقف)، أهذه أنتِ، ميديا؟

مـيـــديا : (تهتف به) نعم. قلْ بسرعة. إننى أعرف.

الصـــبى : چاسون قد أوفدنى.

مـيـــديا : لن يعود؟ جريحٌ هو، قد مات؟

الصـــبى : يقول إنكما قد نجوتما.

مـيـــديا : لن يعود؟

الصـــبى : يقول إنه سوف يأتى، إنه يجب أن تنتظراه.

مـيـــديا : لن يعود؟ أين هو؟

الصـــبى : عند الملك. عند كرّيون.

مـيـــديا : سجين؟

الصـــبى : لا.

مـيـــديا : (تهتف ثانيةً) نعم. أمن أجله هذا العيد؟ تكلّم. هأنت ترى أننى أعرف. من أجله العيد؟

الصـــبى : نعم. من أجله.

مـيـــديا : فماذا فَـعل؟ هيا. قلْ بسرعة. لقـد جئتَ جريا، وأنت مضرّج الوجـه بالاحمرار، وتتعجل العـودة. يرقصون، أليس كذلك؟

الصـــبى : نعم.

مـيـــديا : ويشربون؟

الصبى : ستة براميل مفتوحة أمام القصر.

ميديا : والألعاب والصواريخ والبنادق التى تنطلق كلها مرةً واحدة إلى السماء. بسرعة، بسرعة أيها الصغير، فتكون قد لعبت دورك، ويكون فى استطاعتك أن تعود هناك وتنال حظّك من المتعة. لستَ تعرفنى أنت. فماذا يهمك هذا الذى سوف تقول لى؟ ولمَ يخيفك وجهى؟ أتريدنى أن أبتسم؟ هأنذا أبتسم. ثم أنه خبر طيب ماداموا يرقصون. فلتقله بسرعة أيها الصغير، مادمت أعرف أنا.

الصبى : إنه يتزوج.. كريّوز، بنْت كريّون. والقران غدًا صباحًا.

ميديا : شكرًا أيها الصغير. اذهبِ فارقص الآن مع فتيات كورينث. أرقصِ بكل قواك. أرقص طيلة الليل. وعندما تشيخ تذكّر أنك أنتَ الذى جئت تقول لميديا.

الصبى : (يخطو خطوة) فماذا يجب أن أقول له؟

ميديا : لمن؟

الصبى : چاسون.

ميديا : قل له إننى قلت لك: شكرًا.

(يذهب الصبى)

ميديا : (تصيح فجأة): شكرًا ياچاسون. شكرًا ياكريون. شكرًا أيها الليل. شكرًا لكل شىء. شد ما كان ذلك بسيطًا يسيرًا. لقد خَلُصت...

المرضع : (تقترب) يانسرى الفخور، ياصقرى الصغير..

ميديا : دعك من هذا يا امرأة. لم أعد بحاجة إلى يديك. جاء طفلى وحده. وهى بنتٌ هذه المرة. أيتها الكراهية التى لى، شد ما أنتِ جديدة. ما أشد نعومتك، وما أذكى عبيرك. أيتها البنت الصغيرة السوداء، هأنذا لم يعد لى ما أحبه فى العالم إلاك.

المرضع : تعالى ياميديا.

ميديا : **(قامت واقفة مشدودة القامة، ذراعاها تضمان صدرها)** دعينى. إننى أصيخ السمع.

المرضع : دعيهم وموسيقاهم. فلنأوِ للفراش.

ميديا : لم أعد أسمعها. إننى أصغى إلى كراهيتى.. يا للعذوبة. يا للقوة التى كانت قد ضاعت. ماذا كان قد فعل بى، يا مرضع، بيديه الكبيرتين الساخنتين؟ كان حسبه أن يدخل قصر أبى، وأن يضع إحدى يديه علىّ. عشر سنوات انقضت وها هى ذى يد چاسون تتركنى. فأجد نفسى من جديد. أكنت أحلم؟ هذه أنا. هذه ميديا. لم تعد بعد هذه المرأة المتعلقة برائحة رجل، هذه الكلبة الراقدة التى تنتظر. يا للعار. يا للعار. إن خدىّ ملتهبان يا مرضع. كنت أنتظره طيلة النهار. ساقىّ مفتوحتان، وأنا مبتورة الأوصال.. باتضاع، هذا البِضع

منى الذى كان باستطـاعته أن يعطيه وأن يعود فـيأخذه، وسط بطنيِ هذا الذى كان يملكه.. كان ينبغى أن أطيعه وأن ابتسم له وأن أتزوق حـتى أُدخل عليه السرور فـقد كـان يتركنى كل صـبـاح، ويأخذنى مـعـه، وما كـان أسـعدنى أن يعـود فى المساء ليـردنى إلى نفسى. كـان ينبـغى أن أعطيه فَـرْو الكبش الذهبى ذاك مـادام يريده، وأعطيـه كل أسرار أبى، وأن أقـتل أخى من أجله، وأن أتبعه فى فراره، بعـد ذلك أتبعه، مجرمة، فقـيرة معه. فـعلتُ كل ما كـان ينبـغى فعله، هذا كل شئ، وكـان باستطاعتى أن أفـعـــل المزيـــد. أنت تعرفين ذلك كله يا امرأة. أنت أحببته أنتِ أيضًا.

المرضـع : نعم يا ذئبتى.

مـيـــديا : مبـتورة الأوصـال.. أيتها الشـمس، إن كان حـقًا أننى سليلتكِ فلماذا جـئتِ بى مبتورة الأوصـال؟ لمـاذا جئتِ بى بتـرًا؟ ولم هذان النهـدان، وهذا الوَهَن، وهذا الجرح المفـتوح فى وسطى؟ ألـم يكن ميـديا الصـبى ليصـبح جميلاً؟ وقويًا؟ جسمـه صلب كالحجر ، مصنوعٌ بحيث يأخذ ثم يمضى ، قوى العزم ، سليـمًا كاملاً لم يُنتقص منه شىء. آه، كان باستطاعته أن يأتى عندئذ، چاسون، بيديه الكـبيرتين المَخُـوفتين، كان باسـتطاعتـه أن يحاول

وضع يديه عـلىّ، سكّين، سكّين فـى يد كل منهـا - نعم. - والأقوى منّا يقـتل الآخـر ويمضى وقد خَلُص. لا ذلك الصراع الذى لم أكن أريد فيه إلا أن ألمس كتفيه ، لا ذلك الجرح الذى أتضرع إليه أن يُحدثه فىّ. امرأةٌ ما، امـرأةٌ كلبـة . لحمٌ مـصنوع من قـلـيلٍ من الطين ومن ضلع رجل. بضعٌ من رجل. داعرة.

المرضـع : (تقبّلها) لست أنت. لست أنت. يا ميديا.

مـيـــديا : أنا كالأخريات . أكثر جبناً، وأشد انفتاحًا من الأخريات، عشـر سنوات. لكن ذلك قد انقضى الـليلة يا مرضع، ولقد عدتُ ميديا. ما أطيب ذلك! .

المرضـع : هدئى من روعكِ يا ميديا.

مـيـــديا : إننى أهدىء من روعى. إننى رقيـقة عذبة. أتسـمعين، شد مـا أنا عذبـــة يا مرضـــع، وكم أتكلم بعـذوبة. إننى أموت. إننـى أقتـــل، بكل عذوبة، فـى دخيلتى. إننى أخنق.

المرضـع : تعالى. أنتِ تخيفيننى، فلنأوِ للفراش.

مـيـــديا : أنا أيضاً، أنا خائفة.

المرضـع : ماذا يفعلون بنا الآن؟

مـيـــديا : يا له من سـؤال. إنما ينبغى أن نتـساءل ماذا نفـعل بهم أيتها العجوز. إننى خـائفة أيضاً، لكنى لست أخاف من

موسيقاهم، ولا من صيحاتهم، ولا من مَلكهم الأجرب، ولا من أوامرهم - وإنما من نفسى. چاسون، كنت قد أنمتَها، وها من ذى ميديا تستيقظ. أيتها الكراهية. أيتها الكراهية. أيتها الموجة الكبيرة الخيّرة، أنت تغسلينني، فأولد من جديد.

المرضع : سوف يطردوننا يا ميديا .

ميديا : ربما.

المرضع : أين نذهب؟

ميديا : سيكون لنا دائمًا بلد، يا امرأة، فى هذه الناحية من الحياة أو فى الناحية الأخرى، بلد سوف تكون فيه ميديا مَلكة. يا مملكتى السوداء، لقد رددتِ إلىّ.

المرضع : (تتوجع) سوف يلزم أن نحزم كل شىء من جديد.

ميديا : سوف نحزم يا عجوز، فيما بعد.

المرضع : فيما بعد ماذا؟

ميديا : أتسألين؟

المرضع : ماذا تريدين أن تفعلى ياميديا؟

ميديا : ما فعلت من أجله عندما غدرت بأبى. عندما تحتم علىّ أن أقتل أخى حتى أفرّ، ما فعلت ببيلاس العجوز عندما حاولت أن أجعل من چاسون ملكًا على جزيرته،

مـافعلت عـشـر مرات من أجلـه، لكنه من أجلى هذه المرة، أخيراً.

المرضـع : أنت مجنونة، لا تستطيعين.

مـيـــديا : ما ذاك الذى لا أسـتطيع يا امرأة؟ أنا مـيديا. وحـيدة، بمفردى، مـهجـورة أمام هذه العربة، علـى شاطىء هذا البحر الغريب، مطرودة، مجلَّلة بالعار مكروهة، إلا أنه ليس هناك ما يعزّ علىّ أن أحصل عليه.

(ترتفع الموسيـقى من بعيد. فـيرتفع صوت ميديا عليها)

مـيـــديا : فليـغنّوها، فليسـارعوا بغنائهـا، أغنية زواجـهم تلك. وليزوقوها سراعا، تلك المخطوبة، فى قصرها. فما زال هناك وقت طويل حـتى يأتى الغـد. حـتى يأتى حـفل القران.. آه چاسـون، ومع ذلك فأنتَ، تعـرفنى، أنت تعرف أية عذراء تـلك التى أخذتَها فى كلوشيـد. فماذا كـان بوسـعك أن تظن؟ أظنـنتَ أننى سـوف آخـذ فى البكاء؟ لقد تبعتك فـى الدم وفى الجريمة، وسوف ينبغى لى دمٌ وجريمة حتى أتركك.

المرضـع : **(تلقى بنفسها عليـها)** اصمتى، اصـمتى أتوسل إليك، ادفنى شكواك فى أعـمـاق قلـبك، ادفنى كـراهيـتك. تشددى. إنهم الليلةَ أقوى منا.

ميـــديا : وفيما يهم ذلك يامرضع؟

المرضـع : سوف تـثأرين لنفـسك ياذئبتى، سـوف تثأرين لنفـسك ياصقـرى. سوف توقعين بهم الأذى يومًـا، أنتِ أيضًا، لكننا هنا لا شيء. غريبتان، فى عربتهـما مع حصانهما العجوز، لِصًّا فراخ يرميهـما الصبية بالأحجار. انتظرى يومًا انتظرى سنةً ، سرعان ما تصبحين الأقوى.

ميـــديا : أقوى من الليلة؟ أبدًا.

المرضـع : ولكن مـاذا تسـتطيعـين فى هذه الجـزيرة المعـادية؟ إن كـولشوس بعـيدة. وقـد طردتكِ كـولشوس نفـسهـا. وجاسون يهجرنا الآن أيضًا. فماذا يبقى لكِ؟

ميـــديا : أنـا..

المرضـع : يامـسكينة. إن كريون مَلِك، وهم لم يسـمحـوا ببقـائنا على هذه الأرض إلا لأنـه أراد ذلك. فليـقل كـلمـة، فليـتح لهم ذلك، فـإذا بهم هنا جمـيـعًا، بخناجـرهم وعصيّهم. سوف يقتلوننا.

ميـــديا : (بصـوتٍ خـافت) سـوف يقتلوننـا. ولكن بعد فـوات الأوان.

المرضـع : (تلقى بنفسها تحت قـدميها) ميديا ، إننى عجوز، لست أريد أن أمـوت. لقد تبـعتك، لقـد تركت كل شئ من أجلك. لكن الأرض مـازالت زاخرة بالأشـياء الطيـبة،

الشمس على المقعد عند الوقوف أثناء السفر، الهواء السخن فى الظهر، وقطع النقد الصغيرة التى كسبها المرء، فى يده، وقطرة الخمر التى تدفىء القلب قبل النوم.

ميديا : (تدفعها بقدمها، بازدراء) ياحطام. كنتُ أريد الحياة أنا أيضا، بالأمس، لكن الأمر الآن ليس أن نحيا أو أن نموت.

المرضع : (متشبثة بساقيها) أنا أريد أن أعيش ياميديا..!

ميديا : أعرف. تريدون جميعا أن تعيشوا. ولأن چاسون يريد أن يعيش أيضا فهو يمضى.

المرضع : (وضيعة حقيرة فجأة) أنتِ لم تعودى تحبينه ياميديا. أنتِ لم تعودى تشتهينه منذ زمن طويل. المرء يعرف كل شىء، فنحن مكوّمون جميعًا فى هذه العربة. قال لكِ، أولاً، إنه يشعر بالحرّ في ذات مساء، وإنه يريد أن يضع حشيته فى الخارج. فتركتِه يفعل وسمعتكِ تتنهدين من الراحة. وأنتِ تتمددين ليلتها، لأنكِ أخذت السرير كلّه لك وحدك. الواحدة تقتل من أجل رجل مازال يأخذها إليه لا من أجل رجل تتركه الواحدة يخرج فى الليل من سريرها.

ميـــديا : (تأخذ بخناقها وترفعها بـوحشية حتى وجههـــا) حذار يا امرأة. أنتِ تعــرفين أكـثر مما ينبغـى وتقـــولين أكـثر مما ينبغي. لقد رضعتُ لبنك، حسنًا، واحتملت نواحك. لكنّ ميـديا لم يشتد عـودها على اللبن، كمـا تعرفين. ولست مـدينةً لكِ بأكبـر من دينى للمرأة التى كـان من الممكن أن أرضع لبنهـا بدلاً منك. فاسمـعى إذن، لقد قلت لى أكثر مما ينبغى، حطـامك البالى العتيق، وقطرة خمرك، وشـمسك على لحمك المتعـفن.. إلى مواعين مطبخك ياعجوز، إلى مكنستك، إلى تـقشير خُضَرك، مع الأخريات من جنسـك. فاللعبـة التى نلعبهـا ليست لكُن. فإذا مِتنّ فيها، دون انتبـاه ودون أن تفهمن شيئًا، فهذا شيء يؤسف له، ولكن هذا كل شيء.

(ترميهـــا بوحـشيةٍ على الأرض)

المرضـع : (فى تلك اللحظة تصيح العجوز)

حذار ياميديا، هناك من يأتى.

(تستدير ميديا. كريون أمامها، يحيط به رجلان أو ثلاثة)

كـــريّون : أهذه أنت ميديا؟

ميـــديا : نعم.

كـــريون : أنا كريّون. ملك هذه البلد.

ميـــديا : تحية.

كـــريون : جاءت حـكايتك - حتى بلغـتنى. إن جرائمـك معـروفة هنا. والنســوة هنا يحكينـها فى المســاء لأولادهن حـتى يُخِفْـنهم بها، كـما يحدث ذلـك فى جميع جـزائر هذا الساحل. لقد سمحتُ لك بالإقامة بضعة أيام على هذه الأرض، مع عربتك. ويجب الآن عليك أن ترحلى.

ميـــديا : ماذا فعلـتُ لأهل كورينث؟ هل سطوتُ على دواجنهم؟ هل وقعتْ بهـائمهم فريسة للمـرض؟ هل وضعتُ السم فى ينابيع مياههم إذ مضيت أستقى منها مياه غذائى؟

كـــريون : لا شىء بعد، لا. وإن كان بوسعك أن تفعلى ذلك كله يومًا. اذهبى من هنا.

ميـــديا : كريّون. إن أبى أيضًا مَلِك.

كـــريون : أعرف. فاذهبى إلى كولشوس قدمى شكواك.

ميـــديا : فليكن . سوف أعـود إليها. ولن أخيف أمـهّات قريتك زمنًا طويلاً بعـد، ولن يسطو حصـانى على الأعـشاب النادرة فى أرضك. سوف أعود إلـى كولشوس على أن يعود بى إليها ذلك الذى أخذنى منها.

كـــريون : ماذا تقصدين؟

ميـــديا : أعِدْ إلىّ چاسون.

كـــريون : چاســون ضيـفى، وابن ملِك كان صــديقى، وهــو حرٌ فيما يفعل.

مـيــديا : لماذا يغنون فى قريتك؟ ولم طلقات النار هذه فى السماء وهذه الرقصات وهذا النبـيذ الذى يُوَزَّع؟ فإن كانت هذه هى الليلة الأخـيرة التى يمنحنى فيــها أهلك الكورِنْثـيون الطيبون أن أبيتها هنا، فلِم يحولون دونى والنوم.

كـــريون : جئت أقــول لكِ هذا أيضًا. الليلة يُحـتفل بزواج بنتى. سوف يتزوجها چاسون من الغد.

مـيــديا : حياة مديدة، وهناء مديدًا لكليهما.

كـــريون : لن يكونا بحاجة إلىَ تمنياتك.

مـيــديا : ولم ترفـضــها ياكـريون؟ ادعُنى أنا أيضــا إلى الفــرح. قدمنى إلى بِنتك. ففى وســعى أن أكون ذات غَنَاءٍ لها، أتعرف هذا؟ فأنا امرأةُ چاســون منذ عشر سنوات، وفى استطاعتى أن أعلّمها الكـثير، هى التى لا تعرفه إلا منذ عشرة أيام.

كـــريون : وحتى لاتتـحقق مثل هذه الفـضيحة قـررت أن تبارحى كورينث منذ الليلة. ألجـمى حصانك ، احزمى مـتاعك لديك ساعة تكونين بعدها قـد جاوزتِ الحدود. وسوف يقودك هؤلاء الرجال.

ميـــديا : فإن أبيت أن أتحرك؟

كـــريون : أولاد بيلياس العـجـوز الذى قتـلته غـيلةً قـد طالبـوا برأسك. كل ملوك هذا الســاحل، إن بقـيتِ، سلمـتك لهم.

ميـــديا : إنهم جيرانك. وهم أقوياء. وأنتـم الملوك تتبادلون مثل هذه الخدمات. فلم لا تفعلها على الفور..؟

كـــريون : سألنى چاسون أن أسمح لكِ بالرحيل.

ميـــديا : يا لچـــاسـون الطـيب. يجب أن أقـول شـكراً، أليس كذلك؟ أتتـصورنى فريسـة بين يدى التيـساليين فى يوم زواجه؟ أتتصورنى أمام المحكمة، على بعد فراسخ قليلة من كـورينث، وأنا أقـول بأعلى صَوتى فـى سبـيل مَنْ أَمرتُ بقـتل بيليـاس؟ فى سبـيل الصهـر، أيها القـضاة الطيبون، فى سبيل الصهر المكرَّم المحتفَى به الذى أصهر إليه هذا الملك الطيب الجـار الذى تحتفظون مـعه بأطيب العلاقـات الممكنة.. أنتَ تمارس مهنة الملوك بكثـيرٍ من الطيش ياكـريوّن. لقـد أتيح لى الـوقت أن أتعلّم، فى قـصـر أبى، أنه لـيس هكذا تَحكُم الملـوك. فلتـأمـر بقتـــلى على الفور.

كـــريون : (بصوت مكتوم) كان ينبغى علىَّ أن أفعل. لكنى وعدتُ بأن أسمح لكِ بالرحيل. أمامك ساعة من زمان.

ميـــديا : (تغرس قدميها فى الأرض بمهواجهته) كريّون، أنت شيخٌ عجـوز، أنت ملكٌ منذ زمان طويل. كـفاكَ مـاقمت به من أعـمـال المطبخ الوضـيـعـة. انظرْ إلىّ فى عـينىّ، ولتـعرفـنى. أنا ميـديا. بنت إياتيس الـذى أمر فـذُبح الكثيـرون، عندما كان الأمـر يقتضى ذلك، والكثـيرون منهم أنصعُ براءةً منى، أؤكد لك. إننى من جنسك. من جنس أولئك الذن يقـضُون، ويقـررون الأمور، دون أن ينكصـوا على أعـقـابهم بعـد ذلك ودون ندمٍ أو تأنيب ضمير، أنت، لا تسلك سلوك ملك ياكريّون. فإن كنت تريد أن تعطى چاسون ابنتَك فلتأمـر بقتـلى على الفور مع العـجوز والولديْن اللذين ينامـان هناك، والحـصان. فلتحرق ذلك جميعًا على هذه الأرض، على يد رَجلىْن يُوثَق بهما. ولتشتت الرمـاد بعـد ذلك تشتيتـا. حتى لا يبقى من ميديا إلا بقعةٌ سوداء كبيرة على هذا العشب، وحكايةٌ تخيف أطفال كورينْث فى المساء.

كـــريون : لِمَ تريدين أن تموتى؟

ميـــديا : ولمَ تريدنى أن أعيش الآن؟ لا أنتَ ولا أنا ولا چاسون يهمه أن أبقى على قيد الحـياة فى مدى ساعة من زمان، كما تعرف ذلك حق المعرفة.

كـــريون : (يأتى بحركة، يقول فـجأةً بصوت مكتوم) لم أعُدْ أُحب الدماء.

مـيـــديا : (تصرخ به) فأنت قـد شِختَ وطعنتْ بك السنّ عن أن تكون مَلِكًا. فلتضع ابنكَ فى مكانك إذن، حتى ينهض بالعمل كـما ينبـغى النهوض به، واذهب لتـرعى كروم عنبك فى الشمس. فلم يعد فيك غناء إلاّ لهذا.

كـــريون : يامتكبرة. ياحقـوداً ثائرة. أتظنين أننى جئت ألقاكِ هنا، لأسمع منك النصيحة؟

مـيـــديا : لم تأتِ تطلب النـصيـحـة. لكنني أسـديك إياها. هذا حقى. وحقك أن تأمر بإخـراسى، إن بقيتْ لديك القوة أن تفعل. هذا كل شىء.

كـــريون : وعدت چاسون أن ترحلى دون أن يلحقك ضُرّ.

مـيـــديا : (متـضاحكة) دون أن يلحقنى ضرّ. لن أرحل دون ضرّ كمـا تقول. ذلك رائعٌ ألاّ يلحقنى ضُـرّ، فوق الصفْـقة أيضا. فلأمـحونّ نفسى. فلأقـضينّ على نفسى. ظلٌ، ذكـرى، خطأٌ يؤسف له، ميـديا هذه التى جـرّها وراءه عشر سنوات. ذلك حلم من أحلام چاسون، كلّ ذلك. بوسعه أن يخفينى، أن يوارينى وسط حرسك فى قصرك، أن يدفنَ نفسه فى براءة بنـتك، وأن يغدو مَلِك كورينث عند موتك، على أنه يعـرف أنّ اسمه واسـمى مرتبطان على مَدَى القرون. چاسـون- ميديا. لا انفصـال بينهما

بعد. اطردنى. اقـتلْنى، ذلك سواء. بنتـك تتزوجنى إذ تتزوجه، أردتَ أم لم ترد، أنت تقبلنى معه.

(تصرخ به)

كـريّون، كن مَلِكا. افـعل مـا ينبـغى أن تفـعل. اطرد چاسـون. جرائمى نهض هو بنصـفهـا، واليدان اللـتان سوف تمسّان جِلد بنتك حمراوان مضرّجتان بالدم عينه. أعطِنا سـاعة، أقلّ من ساعـة، لنا كلينا. فقـد ألفنا أن نهرب معًا، بعد كل ضـربةٍ من ضرباتنا. أما حزْم المتاع فهذا شيءٌ يتمّ بسرعة ، أؤكد لك.

كـــريون : لا. ارحلى وحدكِ.

مـيـــديا : (بصوت خافـت فجأة) كريّون، لن أتوسل إليك بعد. فلستُ أستطيع. ركبتاى لا تستطيعان الانثناء، ولاصوتى بوسعه أن يكون متّضعًا، لكنك إنسان، مادمت لاتستطيع أن تحسم أمـر موتى. فـلا تتركنى أرحل وحـدى، أعِدْ للمنفيّة سفينتَها، أعِدْ إليها رفيقها. لم أكن وحيدةً عندما جئت، فلمَ التـفرقة الآن بيننا؟ من أجل چاسـون قتلتُ بيليـــاس. وغـدرتُ بأبى، واغـتلْتُ أخـى البـرىء فى فـــرارى. إننى له، إنـنى امـــرأته، وكلّ جـــريمة من جرائمى له.

كـــريون : أنتِ تكذبـــين. لقد فـحصتُ كـل شيء. چاســـون، من غيرك، برىء، وقضيّـته يمكن الدفاع عنها إذا فُصلت عن قضيتـــك. أنتِ وحدك ألحقـــتِ القَذَر بنفسك.. إن چاسون من قـومنا، وابن أحد ملوكنا، ولعل شـبابه كان طائشًا أهوج كالكثيرين غيره، لكنّه الآن رجل يفكر تفكيرنا. أنتِ وحدكِ تأتين من بعيد، أنت وحدكِ غريبةٌ هنا، بأعمالكِ الشريرة، وكراهيتك. عودى إلى قوقازك ولتجدى رجلاً من جنسك متوحشًا مثلك، واتركينا تحت سماءِ العقل هذه، على شاطىء هذا البحر الساجى الذى لا شأن له بعواطفك المضطربة وصيحاتك.

مـيـــديا : (بعـد فـتـرة) حـسنًا، سـأرحل. ولكن ولدىّ، من أىّ جنسٍ هُما؟ أمن جنس الجريمة أم من جنس چاسون؟

كـــريون : فَكِّر چاسون أنهما لن يكونا إلا عقـبة فى سبيل فرارك. فاتركيهما لنا. سوف يشبّان فى قصرى. وأعدك برعايتى لهما.

مـيـــديا : (بصـوت خـافت) يجب على أن أقـــول مـرة أخـرى «شكرًا». أليس كـــذلك؟ أنتم إنسـانيـون أيـضًـا، أنتم عادلون جميعًا، لا كراهيةَ عندكم.

كـــريون : احتفظى بشكرك، ارحلى. الـوقت يجرى وعندما يرتفع القمر فى السماء فلن يحميك هنا شيء. لقد أُصدِر الأمر.

ميـــديا : مهـما كان هذا القـوقاز الذى آتى منه متـوحشًا وغـريبًا ومهـما كان وعـرًا جافـيًا فإن الأمّـهات هناك يحـتفظن بصغارهن يا كريّون، يضـعنهم إلى جنوبهن كغيرهن من الأمّهـات. إن وحوش الغاب تفـعل ذلك أيضا.. إنهم ينامون هناك. هذه الصرخـات، هذه المشاعل فى الليل، هذه الأيادى التى لا يعرفـونها تأخذهم وتنتـزعهم منى، لعل ذلك كثـير فى مـقابل جرائم أمـهم. أعطنى إياهم حتى الغـد. سأوقظهم فى الصـباح، كالمعـتاد وأرسلهم إليك. صدِّقْ ميديا، أيهـا الملك. وما يكادون يستديرون فى منعطف الطريق حتى أكون قد رحلت.

كـــريون : (ينظر إليها لحظة بصمت ثم يقول فجأة) فليكن.

(يضـيف بصـــوت مكتـوم دون أن يرفع عنها بصره).

أنت ترين أننى شـيخ. إن ليلة راحة كـثيرٌ علـيكِ. إنها فترة زمان تكفى لعشر من جرائمك، كان ينبغى علىّ أن أرفض رجاءك ولكنى قـتلتُ كثـيرًا، يامـيـديا أنا أيضا. وفى القُـرَى التى قهـرتُها حـيث كنت أدخل على رأس جنودى السُّكارَى، قتلتُ كثيرًا من الأطفال.. وسأعطى القدر ليلةً هادئة يقضيها هذان الطفلان، فى مقابل ذلك. فليُفِدْ القدرِ من ذلك، إن شاء، حتى يقضى بهلاكى.

(يخرج، يتبعه رجاله. ما أن يخرج
حتى يكتسب وجه ميديا حياةً،
وتصيح به بكلّ قواها، وهى تبصق
فى اتجاهه).

ميديا : فلنعتمد على ذلك ياكريّون، فلنعتمد على ميديا، يجب أن نساعد القدر قليلاً، تثلمت مخالبُك أيها الأسد العجوز، مادمتَ قد بلغ بك أن تترجّى وتتوسل، أن تفتدى حياة طفلين صغيرين ميّتين. آه.. أنت تريد أن تتركهما ينامان، هذا الطفلان، لأن شيئًا ما يدغدغك فى جوفك عندما تفكّر فى المساء، فى قصرك الخاوى، بعد العشاء، فى كل أولئك الأطفال الذين قتلتهم. تلك معدتك تتململ أيها الوحش العجوز، وليست شيئًا آخر. فلتأكل الخُضَر المسلوقة، ولتتناول السفوف والعقاقير، ولتداخلْ قلبكَ الرقةُ شفقةً على نفسك أنت الخيّر الطيّب، كريّون العجوز الذى يعرف نفسه حق المعرفة، وإن كان مع ذلك قد ذبح كفايته من الأبرياء عندما كانت له أنيابه القوية وأوصال جسمه المفتولة العضل. الحيوانات تقتل الذئاب الهَرمة حتى تقيها هذه النكسات إلى الوراء، ورقة القلب الأخيرة هذه. لا تأملنّ أن يوضع لك ذلك فى الحساب. أنا ميديا أيها التمساح العجوز. إن ميزانى دقيقٌ أنا، إذا جازت

الخدعة على الآلهة، أما أنا فلى خِبْرةٌ بالشر والخير. وأنا أعرف أنّ المرء يدفع نَقْدًا، وأن كل شىء مباح. وعلى المرء أن يخدم نفسه بنفسه دون إمهال، ومادام دمك الذى سرتْ إليه البرودة، وغُدَدُك التى تسلل إليها الموت قد جَبنت بك، فأعطِنى هذه الليلة، فسوف تدفعنّ.

(تصيح بالمرضع)

إلى حُزمك ومَتاعك أيتها العجوز. أدخِلى مواعينك ولفّى الملاءات، واربطى الحصان بالعربة. سنرحل فى مَدَى ساعة.

چاسون : (يظهر) أين تذهبين؟

ميديا : (تواجهه) إننى أهرب ياچاسون إننى أهرب.. ليس جديدًا علىّ أن أُغيرّ موطن إقامتى، إنما الجديد سبب فرارى، فقد كنت أهرب من أجلك حتى الساعة.

چاسون : جئت وراءهم. وانتظرت أن يبتعدوا حتى أراكِ وحدك.

ميديا : ألديك ما تقوله لى بعد؟

چاسون : أتشكيّن فى هذا. ينبغى لى أن أسمع ماتريدين أن تقوليه لى أنتِ، على أى الأحوال، قبل أن ترحلى.

ميديا : ألا تخاف؟

چاسون : بلى.

ميـــديا : (تذهب إليه برقة وتقـول فجأة) دعنى أنظر إليك. . لقد أحببتك. عشـر سنوات كنت أرقد بجانبك. هل شِخْتُ أنا، مثلك، ياچاسون؟

چاسون : نعم.

ميـــديا : إننى أراك واقفًا أمـامى، كما تقف الآن، فى تلك الليلة الأولى فى كولشيـد. ذلك البطل الأسمر الذى هبط من قـاربه، هذا الـطفل المدلل الذى كـان يـريد ذهب فَـرْو الكبش، وما كان ينبـغى أن ندعه يموت. أكان ذلك هو أنتَ، فيما تظن؟

چاسون : نعم. أنا.

ميـــديا : كان ينبغى لى أن أتركك تذهب فتـواجه الثيران وحدك. وحدك أمام العمالقة المنبثقة من جوف الأرض، مدججةً بالسلاح، أمام التنين الذى كان يسهر على حراسة الفرو الذهبى.

چاسون : ربما.

ميـــديا : وكنت ستموت. كم كان العالـم يصبح سهلاً، من غير چاسون.

چاسون : عالم من غير ميديا. حلمت بذلك أيضا.

ميـــديا : لكن هذا العالم يحتوى چاسون ومـيديا معًا، وينبغى أن نأخذه على عـلاته. ومهما طلبت النجـدةَ من حَمِيك،

وأمرت أن يقودني رجاله إلى الحدود، فإن بحراً أو اثنين ليس بالكفاية ليفرّق بيننا، كما تعرف. لماذا حُلْت دونهم وأن يقتلوني؟

چاسون : لأنكِ كنتِ امرأتي زمنًا طويلاً ياميديا؛ لأنني كنت قد أحببتك.

ميديا : ولم أعد امرأتك، لم تعد تحبني؟

چاسون : لا.

ميديا : چاسون السعيد الذي خلص من ميديا. أحُبّك المباغت لهذه البطة الصغيرة من كورينْث، لرائحتها الفتيّة الحامضة، لُركبْتيها المضمومتين، رُكْبتيْ البنت العذراء أذلك هو الذي خلّصك؟

چاسون : لا.

ميديا : فماذا إذن؟

چاسون : أنت.

(فترة يواجهان أحدهما الآخر. يترامقان).

(تصيح به فجأة).

ميديا : لن تخلص أبدًا ياچاسون. ميديا زوجتك أبد الدهر. بوسعك أن تأمر فتنفيني من الأرض، بوسعك أن تكتم أنفاسي الآن، فلا تعود تسمع صيحاتي، لكن ميديا لن تخرج أبدًا أبدًا من ذاكرتك. انظرْ إليه، هذا الوجه الذي

لا تطالع فيه إلا الكراهية، انظر إليه بكراهيتك أنت، الحقد والزمن بمقدورهما أن يشوّهاه، والرذيلة بمقدورها أن تحفر فيه آثارها، وسوف يصبح يومًا وجهَ امرأةٍ عجوز وضيعة يستفظعه الجميع، لكنك أنت ستظل تطالع فيه وجهَ ميديا حتى نهاية الدهر.

چاسون : لا، سوف أنساه.

ميديا : أتظن ذلك؟ ستذهب تعبّ من عيونٍ أخرى، وتمص الحياة من على شفاه أخرى وتنال متعتك الصغيرة، متعة الرجال، حيثما استطعت. أوه. ستكون لك نساء أخريات. فلتطمئن. ستكون لك الآن ألف امرأة أُخرى، أنت الذى لم يكن بوسعك أن تطيق البقاء على عهد امرأةٍ واحدةٍ فحسب. لن تفرغ أبداً مع ذلك من البحث عن هذا الومـيض فى أعينهنّ، عن هذا المذاق على شفاههنّ، عن ذلك العبق فيهن، عبق ميديا.

چاسون : كلّ ما أريد الفرار منه.

ميديا : رأسك، رأسك القذر، رأس رجل، عساه يريد الفرار، لكن يديك الزائغتين سوف تبحثان بالرغم منك، فى العتمة، على هذه الأجساد الغريبة، سوف تبحثان عن قامة ميديا المفقودة، وسوف يقول لك رأسُك إنهن أصبىَ أو أجمل ألف مرة، فلا تغمض عينيك عندئذ ياچاسون،

ولا تفقد زمام نفسك لحظةً واحدة، يداك العنيدتان سوف تبحثان، بالرغم منك، عن مكانهما على امرأتك. ومهما حاولت أن تأخذ منهن فى النهاية من يشبهننى، ميديات جديدة فى فراشك، أنت الشيخ العجوز، عندما لا تعود ميديا الحقيقية أكثر من زكيبةٍ قديمة من الجِلْد مليئة بالعظام، شاهت حتى لم تعد تُعرف، إلاّ أنه يكفى عندئذ أن تقع على نحافةٍ لا تكاد أن تُلحَظ على الفخذين، على عضلةٍ أقصر أو أطول، حتى تعود يداك يدىْ فتىً شاب، فى طرفىْ ذراعيك العجوزين، فتتذكران وتندهشان إذ لا تجدان ما تطلبانه، اقطعْ يديك ياچاسون، اقطعْ يديك على الفور، استبدل بهما غيرهما إن شئتَ أن تعشق أيضا.

چاسون : أتعتقدين أننى أتركك بحثًا عن حب آخر؟ أتعتقدين أن ذلك سعيًا للبدء من جديد؟ لم يعد ما أمقته هو أنتِ وحدك، بل أمقت الحبّ.

(فترة. يترامقان)

ميديا : أين تريدنى أن أذهب؟ إلى أين تطردنى؟ أذهب إلى بلاد فاز، إلى كولشيد، إلى المملكة الأبوية، إلى الحقول الغارقة فى دم أخى؟ أنت تطردنى. فإلى أى أرض تأمرنى بالمسير، من غيرك؟ أىّ بحار حُرّة؟

مضايق الجسر حيث مررتُ خلفك، وأنا أخادع وأكذب وأسرق من أجلك؟ ليمنوس حيث لاشك أنهم لم ينسونى بعد؟ تيساليا حيث ينتظروننى ليثأروا منى لأبيهم المقتول من أجلك؟ كل الطرق التى فتحتُها لك أغلقتها أمام نفسى. أنا ميديا مثقلة بالفظائع والجرائم. بوسعك ألاّ تعود فتعرفنى، لكنهم هم مازالوا يعرفوننى، ياله من شىء محرج مُربك، هيه، شريكٌ فى الجريمة قديم؟ كان ينبغى أن تتركنى أُقتَل، كما ترى.

چاسون : سوف أنقذك.

ميديا : سوف تنقذنى؟ مَنْ تنقذ؟ هذا الجلد البالى، جثة ميديا هذه التى لا غناء فيها إلا أن تجرّها فى مللها وكراهيتها، حيثما اتفق؟ قليل من خبز وبيت فى مكان ما، حيث تشيخ، أليس كذلك، فى صمت، حتى لا يعود أحد يسمع عنها خبرًا، فى آخر الأمر، لماذا تجبن ياچاسون؟ لم لا تذهب حتى النهاية؟ ليس هناك إلا مكان واحد، مقام واحد، سوف تصمتُ فيه ميديا، آخر الأمر، هذا السلام الذى تريد أن يتوفر لى حتى أستطيع الحياة، أعطنى إياه. اذهبْ فقلْ لكرّيون أنك تقبل. لن تكون إلا دقيقة صغيرة لا يشق مرورها. لقد قُتلتْ ميديا اليومَ بالفعل، كما تعرف؛ تمامًا. ميديا قد ماتت؛ فما هو

القليل من دمِ ميديا أيضا؟ بركة من الدم تُغسَل من على الأرض، مسخٌ مضحك شائه متصلّب فاغرفاه فظيع، سوف يُخفى فى حفرةٍ فى مكانٍ ما. لا شىء. أكملْ ياچاسون. لم أعد أستطيع الانتظار. اذهب فقل لكريون.

چاسون : لا.

ميديا : (بصوت أخفض) لم؟ أتظن أن عضلة تُمزق أو جلداً يُشقّ ليكون أكثر مما يحدث الآن.

چاسون : لست أريد موتك. فإن موتك هو أنت أيضا. أنا أريد النسيان، والسلام.

ميديا : لن تجدهما أبدًا، ياچاسون. لقد فقدتهما فى كولشيد تلك الليلة، فى الغابة حيث أخذتنى بين ذراعيك. وسواءً كانت حية أو ميتة، فإن ميديا هناك، بإزاء فرحك وسلامك، تسهر على الحراسة. إن هذا الحوار الذى أخذتَ فيه معها لن تنتهى منه الآن إلا بموتك. وبعد كلمات الحب والحنان جاءت الشتائم والعراك، وها هى ذى الآن الكراهية، فليكنْ وإنما تتكلم دائمًا أنت مع ميديا. إن العالم عندك ميديا ياچاسون.

چاسون : أكان العالم عندك هو چاسون دائمًا ؟

ميديا : نعم .

چاسون : سرعان مـا تنسين. لم آتِ ألقاك لآخذ معـك فى شجارٍ أخيـر من مشاحنات الحـياة الزوجيـة. وإنما هذا الفِراش الذى تزعمين أنه يربطنـا إلى الأبد. مَنْ هجره منا أولاً؟ مَنْ تلك التى قـبلت يدَيْن غـريبـتين على جِلدها أوْلاً، وقبلتْ ثقل رجلٍ آخر على بطنها؟

مـيـــديا : أنا.

چاسون : ظننت أنكِ نسيتِ أيضا لمـاذا فررنا من ناكسوس.

مـيـــديا : كنت تهربَ أنت منذ تلك الساعة. كان جـسمك يستقر إلى جوارى كل ليلة، ولكنك كنت تصنع لنفسك سعادةً أخـرى، من غـيـرى، فـى رأسك ذاك، رأسك القـذر المُقفل، رأس رجل. لذلك حاولت أن أفرّ منك أولاً.. نعم.

چاسون : كلمة مريعة تلك، كلمة الفرار.

مـيـــديا : ليست مـريحة تمامًا، كمـا ترى، فإننى قد عَـجزتُ عن الفـرار. تلك الأيادى، تلك الرائحة الأخـرى الغريبـة، تلك المتـعة نفسـها التى لم تكن أنتَ تقـدمهـا لى، لقد كرهتُـها كلهـا على الفور. وسـاعدتك على أن تقـتلَه، أخبرتك بالميعاد، كنت شـريكتك فى الجريمة عليه، بِعتُه لك. أنسيتَها أنت تلك الليلة التى قلتُ لك فيها، تعالَ، إنه هناك. تستطيع أن تناله؟

چاسون : لن أتكلم، أبدًا، عن تلك الليلة.

ميديا : كنت حقيرة أنا فى تلك الليلة، مرتين، أليس كذلك؟ وكنت تزدرينى، وتمقتنى بكل قواك، ولم يكن لى أن أنتظر منك بعد ذلك إلا تلك النظرة الباردة، ولكننى ابتهلت إليك أنتَ أن تأخذنى معك بالرغم من ذلك. ومع ذلك فقد كان جميلاً كما تعرف ياچاسون هذا الراعى من ناكسوس. كان فتّيا، وكان، هو، يحبنى.

چاسون : ولم لم تقولى له أن يقتلنى؟ عندئذ كنتُ الآن لأمسى نائمًا، بعيدًا عنك. كنت لأمسى شيئًا مفروغًا منه.

ميديا : لم أستطع. وتحتّم أن أعود فألتصق بكراهيتك، كأننى ذبابة، وأن أستأنف معك طريقى، وأن أعود فأتمدد من الغد بإزاء جسمك الذى قد ضجر منى، حتى أنام. أتظننى لم أكن أحتقر نفسى أكثر منك ألف مرة، كنت أجأر وأعوى، وأنا وحدى أمام مرآتى؟ كنت أخمش نفسى وأمزق جلدى بأظافرى لأننى تلك الكلبة التى تعود فترقد فى حفرتها. الحيوانات تنسى أنفسها فإذا ماتت شهواتها افترقت عن بعضها بعضا.. ومع ذلك فإننى أعرفك. يابطلَ فتيات كورينث. ولقد وزنتك وعرفت قدرك. وأعرف ماذا بوسعك أن تعطى. ولكنى مع ذلك هنا، كما ترى.

چاسون : لعلك تعجلت بقتل راعيك هذا.

ميـــديا : (ترميـه فجأة) لقـد حاولت ياچـاسون، ألم تعـرف؟ حاولت أيضا مع آخرين منذ تلك الساعة. ولم أستطع.

(فترة. جاسون يقول فجأة بصوت أخفض)

چاسون : مسكينة ميديا..

ميـــديا : (تشب بإزائه كأنها عاصفة) أمنعك من أن تشفق علىّ.

چاسون : والازدراء، تسمـحين لى به؟ مـسكينة مـيديا، مـثقلة بنفـسك. مسكينة مـيديا، لا يرسل لك العـالم أبدًا إلا ميـديا. بوسـعكِ أن تمنعى أن يشفق عليكِ أحـد. فلن يشفق علـيك أحد أبدًا، ولا أنا، لو كنت عـرفت اليوم حكايتك مـا أشفقت عليك. إن چاسـون الرجل يدينك كما يدينك الرجال الآخرون. وقـد سويت قضيتُك إلى الأبد. مـيديا.. إنـه اسم جمـيل ذلك. مـا خِلق هذا الاسم إلا لكِ أنت وحـدك فى هذا العالم. يا مـتكبرة. فليُـذهَب بهـا هذه المتكبـرة إلى الركن الصـغـيـر الذى تستـخْفين فيه بأفـراحك، فلن توجد ثم ميديا غـيرها. والأمـهات لن يطلـقن هذا الاسم أبدًا على فـتيـاتهن. وسـتظلين وحـدك، حتى نهـاية الدهر، وحـدتَك هذه اللحظة..

ميـــديا : فليكن.

چاسون : فليكن. انهضـي وشدّى من قامـتك، ضُمّى قبـضتك، ابصقى وانكتى الأرض بقدمـيك. وكلما زاد عددنا نحن الذين ندينك، ونمقتك، حَسُنَ ذلك جدًا، أليس كذلك؟ وكلما ازدادت بك وحدتك، وازداد وجـعك حتى تشتد ضراوة كـراهيتك، حَسُن ذلك جـدًا. ومع ذلك فلست وحدكِ تمـامًا هذه الليلة، ياللأسف، وأنا الذى تعـذبتُ منك أكثـر مما تعذّب الجـميع، أنا الذى اخـترتِنى أنتِ، حتى تلتهمينى، إننى أُشفق عليك.

مـيـــديا : لا.

چاسون : إننى أشـــفق عليـــك يا ميـــديا. أنتِ التى لا تعـرفين إلا نفسك، أنتِ التى لا تستطعين أن تَهَبى ألا لتأخذى، أُشفق عليـك أنتِ الموثقة أبدًا برباطٍ إلى نفـسك، يحيطُ بك عالمٌ من رؤياك أنتِ.

مـيـــديا : احتـفظ بشفـقتك. إن ميـديا الجريحة مـازالت مخـوفة مرهوبة. بل دافعْ عن نفسك.

چاسون : يبدو عليك مظهر حـيوان صغيرُ بقرٍ بطنه يتخـبط ويتعثر فى أحشائه المبتورة، وفى عَيْنىْ رأسه مع ذلك تحفُّز للهجوم.

مـيـــديا : چاسون، يسوء حال الصيادين إذا سمحوا لأنفسهم بمثل هذا الحنان، بدلاً من أن يعيدوا تعبـئة سلاحهم، أتعرف كل ما أستطيع أن أفعل بعد؟

چاسون : نعم أعرف.

ميـــديا : أنت تعـرف أننى لن تداخلنى الرقـة أنا، ولن تأخـذنى الشـفقة فى الـدقيقـة الأخيـرة، وقد رأيتَنى أواجـه كل شىء، وأغامـر بأن أفقد كل شىء، لأسـبابٍ، هى فى نهاية الأمر، أقل خَطرًا بكثير؛ فى مرات سابقة؟

چاسون : نعم.

ميـــديا : (تصـــيح) فـمـاذا تـريد إذن؟ لِمَ تأتى فـجـأة فـــتلقى بالاضطراب فى كل شىء بشفقتك؟ إننى وضيعة حقيرة، كما تعـرف. لقد غدرتُ بك، كمـا غَدَرت بالآخرين. لست أُحـسِن إلا فعـل الشرّ. ولم تَعُـد تطيـقنى أنت، وتحس بالجريمة التى أدبرها. فهيّا، احترسْ. تراجعْ. نادِ الآخـرين. دافعْ عن نفـسك بدلاً مـن أن تنظر إلىّ هذه النظرة.

چاسون : لا.

ميـــديا : أنا مـيـديا. أنا مـيـديا. وأنت مخطـئ. ميـديا التى لم تعطك أبدًا شيئًا إلا العار. كذبتُ وخادعتُ، وسرقتُ. إننى قذرة. وبسببى لا تكفّ أنت عن الفرار، وكل شىء حولك ملوث بـالدم. إننى ميديا، أنا بَـلْواكَ ياچاسون، إننى قروحك والَجرَب الذى علـى جِلدك. إننى شبابك المضيَّع، وبيتك المشـرَّد، وحياتك الهائمة على وجـهها،

وحشتك ومرضك المشين. إننى كل الحركات القذرة. والأفكار القذرة. إننى الكبرياء، والأثَرة، والدناءة، والرذيلة، والجريمة، إننى نتِنة. إننى نتِنة ياچاسون. إنهم جميعًا يخافوننى، وينكصون أمامى. أنت تعرف، مع ذلك، أننى ذلك جميعًا. وأننى سوف أغدو التحلّل والفساد أيضا، بعد قليل، والقبحَ الشائه، والشيخوخة الكريهة، كل ماهو أسود وقبيح على الأرض، تلقيته وديعة عندى، فما دمت تعرف ذلك إذن فلم لا تكفّ عن النظر إلىّ بهذه النظرة؟ لست أريد شيئًا من حنانك. لست أريد شيئًا من عينيك الطيّبتين.

(تهتف بإزائه)

فلتكفّ ياچاسون، فلتكفّ عن ذلك، وإلا قتلتك فى التو حتى لا تعود تنظر إلىّ هذه النظرة.

چاسون : (بصوت خفيض) عسى ذلك خير ما يكون يا ميديا.

ميديا : (تنظر إليه وتقول ببساطة) لا. لست أنت.

چاسون : (يذهب إليها، يأخذ ذراعها) فاسمعينى إذن، ليس فى وسعى أن أَحُول دونَك وأن تكونى أنتِ نفسَك. ليس فى وسعى أن أَحُول دونك وأن تفعلى الشرّ الذى تحملينه فى نفسك. وقد أُلقى بالنرد وتمت اللعبة على أى حال، وهذه الصراعات التى لا حلّ لها مصيرها إلى الحل،

كغيرها. ولاشك أن ثَمّ من يعرف من الآن كيف سوف ينتهى ذلك جميعا. ليس فى وسعى أن أحول دون شىء. بل قُصارای أن ألعب الدور الذى عُهِد به إلىّ منذ الأزل. إنما كل ما فى مقدورى هو أن أقول كلّ شىء، فى ذات مرة. ليست الكلمات بشىء. حَتْمٌ مع ذلك أن تُقال. فإذا تحتَّمَ علىّ أن أكون فى عداد موتَى هذه الحكاية فإنما أريد أن أموت وقد اغتسلتُ بكلماتى..

إننى أحببتك يا ميديا. كما يحب الرجل المرأة، فى أوّل الأمر. وعساك ما عرفتِ وما تذوقتِ إلا طَعْم هذا الحب، ولكننى منحتكِ أكثرَ من حبّ الرجل - ربما دون أن تعرفى ذلك. لقد فقدتُ نفسى فيكِ، كما يفقد الصبى الصغير نفسهَ فى المرأة التى ولدته. وكنتِ وطنى، وضَوْئى، آمادًا طويلاً، كنت الهواء الذى أتنسمه، والماء الذى يجب أن أشربه حتى أعيش، وخبزَ أيامى، يومًا بعد يوم.

عندما أخذتك فى كولشوس لم تكونى إلا فتاةً أجمل وأصلب من الأُخريات قهرتُها مع الفرو الذهبى وحملتها معى، أذلك جاسون الذى تأسفين لضياعه؟ لقد حملتك معى كما حملتُ ذَهَب أبيك، كى أنفقكِ بسرعة، كى أفيد منك فى مراح وفرح، كما أنفق الذهب وأفيد منه.

ثم يبقى بعد ذلك يا إلهى مركبى ورفقائى الأوفياء، ومغامرات أخرى أقوم بها. أحببتكِ فى أول الأمر يا ميديا كما تحبين أنت، من خلال نفسى. كان العالم كله هو چاسون، وفَرَح چاسون، شجاعته وقوته، وجوعه. فإن كان لدينا كلينا أنياب ضارية، فقد كنا سنرى من يلتهم الآخر فى يوم من الأيام.

ثم جاء مساء، مساءٌ مع ذلك كغيره من الأمسيات. وغلبك النعاس وأنت على المائدة، كبنتٍ صغيرةٍ رأسك على كَتفى. فى هذا المساء، وما كنت إلا مرهقةً - ربما - من الطريقِ الطويل، أحسست فجأة أننى أحمل عبئك. لحظةً واحدة قبلها، كنت ما أزال چاسون، وما كان فى هذا العالم إلا المتعة التى أنالها، بصلابة. وما احتاج الأمر إلا أن تصمتى، وينزلق رأسك على كتفى، فانتهى كل ذلك... وبقى الآخرون يضحكون ويتكاٴمون حولى، لكننى كنت قد غادرتهم. مات چاسون الفتى الشاب. كنتُ أباكِ وأمكِ، كنت ذاك الذى يحمل على كاهله رأس ميديا النائم. بم كنت تحلمين أنتِ، بذهن المرأة الصغيرة الذى لكِ، بينما كنت أحمل عبئك؟ حملتكِ إلى سريرنا، ولم أكن أحبك بل لم تخامرنى الشهوة إليك، فى تلك الليلة. بل نظرتُ إليك وأنت

تنامين، فقط. كان الليل ساجيًا، وكنا قد سبقنا أولئك الذين بعث بهم أبوكِ يطاردوننا، بزمنٍ طويل. وكان رفقائى ساهرين بسلاحهم حولنا، ومع ذلك فلم أجرؤ أن أغمض عينى. دافعتُ عنكِ يا ميديا، دافعتُ عنك ضد لا شيء على أية حال، طيلة تلك الليلة.

وفى الصباح استؤنف الفرار، وتتابعت الأيام تُشابه غيرها، ولكن كل الفتيان أخذ الخوف يساورهم شيئاً فشيئًا. كل أولئك الفتيان الذين كانوا أول من تبعنى فى البحار المجهولة، كلّ أولئك الفتيان الصغار الآتين من يولخوس والذين كانوا على استعداد لمهاجمة الغيلان والمردة بأسلحتهم الهشّة الرقيقة لمجرد إشارةٍ منى، أدركوا أننى لم أعد رئيسهم، أننى لم أعد أقودهم إلى أى مكان، بحثًا عن أى شيء، الآن وقد عثرتُ عليك، كانت نظرتهم حزينة قليلاً، ولعل فيها ازدراء، لكنهم لم يتجهوا إلىّ بلومٍ أو عتب، تقاسمنا الذهب وذهبوا عنا. واستعاد العالم شكله عندئذ، شكله الذى ظننتُ أنه سوف يستبقيه فى نظرى أبد الدهر. لقد أصبح العالم هو ميديا...

أنسيتها، تلك الأيام التى لم نكن نفعل فيها شيئًا، ولا نذكر شيئًا إلا معًا؟

شريكان أمام الحياة، وقد أصبحت الحياة صلبةً خشنة، شقيقان صغيران متماثلان يحملان حقيبتهما، جنبًا إلى جنب، فى الحياة وفى الموت، وقد شمّرا عن أكمامهما، لا خلاف هناك ولا نقاش، لكل منهما النصف بالنصف، ولكل منهما سِكّينه. النصف بالنصف فى المتاعب والمشاق، نصفُ زجاجة الخمر عند الطعام، لقد كنت لأُخْجِلك وأُشعرك بالخزى لو أننى مددتُ لك يدى عندما كان الطريق وعرًا، لو أننى تقدمت لمساعدتك. لم يعد چاسون يقود إلا مركبًا واحدة صغيرة. يا جيشى الصغير الناحل الرقيق، وقد رفَعَ خصائل شعره، وجمعه فى منديل، وعيناه صافيتان مستقيمتان، إنما كنت أنتِ جيشى. على أنه كان فى وسعى أن أقهر العالم بعد، بجيشى الصغير الوفى. وفى أول صباح على سفينتى «آرجو»، مع بحارتى الثلاثين الذين وهبونى حياتهم لم أكن أحس بمثل تلك القوة، وفى المساء، عندما تأتى ساعة الأوْبة إلى المعسكر، كان الجندى والقائد يخلعان ملابسهما جنبًا إلى جنب، يدهشهما كل الدهشة أن يجدا نفسيهما رجلاً وامرأة، تحت ملابسهما المتشابهة، وأن يكونا عشيقين.

بوسعنا الآن أن نَشْقَى يامـيديا، وأن نمزّق أحدنا الآخر، ويتعذب، فقـد أُعطيتْ لنا تلك الأيام الخوالى، وما عاد بالإمكان، أبدًا، أن يوجد ثم خزى أو دم يلوثها. . .

(صـمت. يحلم قليـلاً. كـانت ميـديا قـد جلست القـرفصـاء على الأرض فى أثناء كلامـه، وذراعاها حول ركبـتيهـا وأخْفت رأسـهـا. يقـعد القـرفـصـاء على الأرض بجوارها دون أن ينظر إليها).

وبعد ذلك عـاد للجندى الصغيـر وجهه، وجـه امرأة، وتحتّم على القائد أن يعـود رجلاً هو أيضا، وبدأنا نؤلم أحدنا الآخر ، كانت تمر بالشـارع فتياتٌ أخرى لم يكن بوسـعى أن أمنع نفـسى مـن النظر إليـهن. وسـمـعت ضحكـتكِ للمرة الأولى تمتـزج بضحك رجـالٍ آخرين، ودهشت، ثم جاءت أكاذيـبك. كذبةٌ واحدة فىَ الأول، أخذت تقتفى أثرنا أمدًا طويلاً، كأنها حيوانٌ سامّ ما كنا نجـسر على أن نُحِـدّ إليـه النظر، عند مـا نستـدير، ثم أكاذيب أخرى، تزداد عـددًا كل يوم. وفى المساء عندما كنا نعـود فنأخذ أحـدنا الآخر، خـجلين من جـسمـيْنا الشريكين فى الإثم، كـانت كل قافلة الأكاذيب تحتـشد وتصعّد أنفاسها حوالينا، طيلة الليل. لاشك أن كراهيتنا

قد وُلدت فى خـلال معـركة من تلك المعـارك التى كان يعوزها الحنان، ومنذ تلك الساعة أصبحنا ثلاثة هاربين، فى وسطنا تلك الكراهية. ولكن لمَ الإلحـاحُ على ما قد لحق به الموت.. ؟ إن كراهيتى أيضا قد ماتت.

(يكفّ. ميديا تقول بصوت خفيض)

ميـــديا : إن كنا لا نحرس إلا أشـياء ميـتة، فلم نتـعذب كل هذا العذاب، كلينا، ياچاسون؟

چاسون : لأنّ كل شىء فى هذا العالم تـشقّ ولادتُه، ويشقُّ موته أيضا.

ميـــديا : هل تعذبتَ؟

چاسون : نعم.

ميـــديا : عندما كنت أفعل ما أفعل، لم أكن بأكثر منك سعادة.

چاسون : أعرف ذلك.

(فترة)

ميـــديا : **(تسـأل بصـــوت مكتـوم)** لمـاذا بقـيت كل هذا الوقت الطويل؟

جاسـون : **(يأتى بحـركة)** كنت قـد أحـببتكِ يا مـيديا. كنت قـد أحببت حياتنا الهوجاء. أحـببت الجريمة والمغامرة معك. وعناقنا، وصـراعاتنا القذرة، صـراعات الحـثالة. وهذا التفـاهم الذى يسود بين شريكـين فى الجريمة والذى كنا

نلقاه فى المساء على حشّية القش، فى ركنٍ من أركان عربتنا، بعد أن نضرب ضرباتنا. أحببتُ عالمكِ الأسود. وجرأتك، وتمردك، وتآمرك مع الهول ومع الموت، سُعارك المستميت الذى يحثك على تدمير كل شىء. كنت قد آمنت معك أنه لزامٌ دائمًا أن يأخذ المرء، وأن يقاتل، وأنّ كل شىء مباح.

ميديا : وما عدتَ تؤمن بذلك هذا المساء؟

چاسون : لا، إننى الآن أريد أن أقبَل.

ميديا : (تتمتم) تقبل؟

چاسون : أريد أن أكون متّضعًا. هذا العالم، هذا الاضطراب الذى كنت تقودينني فيه من يدى، أريد له، أخيرًا، أن يتخذ شكلاً محدداً. إنما أنت محقّة بلاشك إذ تقولين أنه ليس ثمّ عقل، ليس ثمّ نور، ليس ثمة وقفة يركن إليها المرء. إنه حتمٌ أن يُقلبّ المرء فى الأيادى الدامية، وأن يخنق المرء، ويلقى بعيدًا كل ما ينتزعه انتزاعًا، لكننى أريد أن أتوقف أنا، الآن، أن أكون رجلاً. أن أفعل، بلا أوهام، كما يفعل أولئك الذين تزدريهم، ما فعله أبى، وأبو أبى وكل أولئك الذين انصاعوا قبلنا، وكانوا فى ذلك أبسط منا، فنظّفوا وأعدوا لأنفسهم مكانًا صغيرًا يقف فيه الرجل فى هذا الاضطراب وهذا الليل.

ميـــديا : بمقدورك هذا فيما تعتقد؟

چاسون : من غيـرك، من غيـر سُمّكِ الذى أشـرب منه كل يوم، سيكون هذا بمقدورى. نعم.

ميـــديا : من غـيرى. فـهل اسـتطعتَ إذن أن تتـصورّ عـالمًا من غيرى، أنت؟

چاسون : سأحاول ذلك بكل ما يسعنى من قوة. لم أعد الآن من الشباب بحـيث أتعذب. هذه التناقضات الـرهيبة، هذه الهُوَّات العـميقـة، وهذه الجروح، إننىَ أرد عليـها الآن بأبسط حركةٍ اخترعها الرجال حتى يعيشوا، إننى أُنّحيها عنى.

ميـــديا : (تتكلمُ بصـوت خـفـيض) ياچاسـون، وتقول كلمـاتٍ مخيفة، شدما أنَّت واثق مِن نفسك، شدّما أنت قوى.

نعم. إننى قوى.

چاسون : جنس قابيـل، جنس العادلين، جنس الأغنيـاء، شـدّما

ميـــديا : تتكلمـون بهـدوء ، إن هذا بلاشـك شىء طيب، أليس كـذلك، أن تكـــون السـماء فى صف المرء، والشـرطة أيضًا. شىء طـيب أن يفكر المرء، ذات يوم، كمـا كان يفكر أبوه، وأبو أبيـه، يفكر كما كـان يفكر كل أولئك الذين كانوا دائمًا على صواب منذ الأزل. شىءٌ طيب أن يكون المرء طيبًا، أن يكون نبيلاً، أن يكون أمينًا، وذلك

كله يُعطَى للمرء فى ذات صباح، كما لو كان قد تأتىً بالصدفة، عندما تبدو أولى المتاعب، أولى التجاعيد فى الوجه، أولى النقود الذهبية. الْعَبْ اللعبة ياچاسون، قم بالحركة المطلوبة، قلْ نعم. أنت تهيىء لنفسك شيخوخةً حلوة. أنت.

چاسون : هذه الحركة كنت أريد أن آتيها معك ياميديا. كنت لأهبك كل شىء لتنعم بالشيخوخة معًا.

ميديا : لا.

چاسون : فاتبعى مسارك. دورى، دُورِى، مزقّى نفسك، قاتلى، ازدرِى، اقذفى بالإهانات اقتلى، ارفضى كل ما ليس ذاتك. أما أنا، فإننى أتوقف. وأرضَى، أقبل هذه المظاهر بنفس الصلابة ونفس العزم الذى رفضتها به فى الماضى معك. فإذا تحتم أن أواصل القتال فإنما فى سبيلها أقاتل الآن، باتضاع، مُسندًا ظهرى إلى هذا الحائط الهش المبنىّ بيدىّ بين العدمِ السخيف وبين نفسى.

(فترة، ثم يقول)

وهذا بلاشك فى نهاية الأمر - وليس شيئًا آخر- هو أن يكون المرء رجلاً.

ميـــديا : لا يساورك فى ذلك الشكّ ياچاسون. أنت الآن رجل.

چاسون : إننى أقبل احتقارك، مع هذا الاسم.

(ينهض)

تلك الصبية جميلة. أقل منك جمالاً عندما ظهرت لى فى تلك الليلة الأولى فى كولشيد، ولن أحبها أبداً كما أحببتك. لكنها جديدة، إنها بسيطة، إنها رقيقة، سوف أتلقاها فى التو، دون ابتسام، من يدى أبيها وأمها، فى شمس الصباح، بثوبها الأبيض، وموكبها الذى يسير فيه الأطفال الصغار. من أصابعها المتعثرة غير المدربة، إنما انتظر التواضع والنسيان وأنتظر، إن شاءت الآلهة، ما تكرهينه فى هذا العالم، أشد كراهية، وأشد الأشياء بعداً عنكِ، انتظر السعادة، السعادة، السكينة.

(صمت. يكفّ عن الكلام. تتمتم ميديا)

ميـــديا : السعادة...

(صمت آخر. تقول فجأة بصوت صغير متضّع، دون حركة)

چاسون، ذلك شيء يشقّ قوله، ويوشك أن يكون مستحيلاً، ذلك يخنقنى يُخزينى. لو قلت لك إننى سأحاول الآن معك، أتصدقنى؟

چاسون : لا.

ميـــديا : (بعد فترة) وتكون محقًا.

(ثم تقول بصوت محايد)

وإذن. فقد قلنا كل شيء، أليس كذلك؟

چاسون : نعم.

ميـــديا : فـرغتُ الآن، وأنـت. اغـتسلـت. بمقـدورك الآن أن تذهب. وداعًا ياچاسون

چاسون : وداعًـا يامـــيـديا. لا أستطيع أن أقـــول لك: كـونى سعيدة. . . فكونى نفسك

(يخرج. ميديا تتمتم مرة أخرى).

ميـــديا : سعادتهم. . . .

(تشد من قامتها، فجأة، وتصيح بچاسون الذى اختفى)

چاسـون. لا تمض هكذا. عُـد. اصـرخ بشيء. تردد. تألم. چاسون أبتهل إليك. حسبـك دقيقة من الضيـــاع أو الشك الذى يبدو فى عينيك، لإنقاذنا جميعًا. . .

(تجرى خلفه، تقف وتصيح مرة أخرى)

چاسـون. أنت مُـحق، أنت طيب، أنت عـادل، وكل شيء غِـبْارُه علـى كاهلى إلى الأبد. ولكـن فليسـاورْك الشك فى ذلك لحظةً صغيرة واحدة. عُدْ.

فعساى عندئذ أن أنجو. . . .

(تسقط ذراعُـها، مُنهكة. لاشك أن چاسـون قد ابتـعد. تنادى بصـوت مغاير).

يا مرضع.

(تظهر المرضع على عتبة العربة).

سوف يشرق النهـار وشيكًا، أيقظى الطفلين، ألبسيـهما كمـا يلبسان فى الأعـياد. أريد أن يذهبا يحـملان هدية العرس التى أقدمها لِبنت كريون.

المرضـع : هديتك يا مسكينة. فماذا بقى لك مما يُهدَى؟

مـيـديا : فى الركـن. الصندوق الأســـود الذى جـــئـت به من كولشوس. هاته

المرضـع : كنت قد حظرتِ أن يُلمس. بل أن يعرف چاسـون نفسه بوجوده.

مـيـديا : فاذهبى هاتِه يا عجوز، دون ثرثرة. لم يعد عندى وقتٌ أصـغى فيـه إليك أنت، يجب أن يسيـر كل شىء الآن بأقصى سرعة. أعطى الصندوق للطفلين واذهـبى معهما حتى تبدو لك مشارف البلدة، وليسألا عن قصر الملك، ويقولا إنها هدية للعروس من أمهـما ميديا.. وليسلماه إليها فى يديهـــا وليـعـودا بعـــد ذلك ثم اسمعـــى. إن الصندوق يحتوى على نـقاب من الذهب وتاج. بقايا كنز عشيرتى. يجب ألا يفتحاه.

(تصرخ فجأة، صرخة مروعة).

ياعجوز. أطيعينى.

(تختفى العجوز فى العربة. ثم
تخرج منها بصمت مع الطفلين..)

ميديا : (وقد بقيت وحدها) أما الآن يا ميديا فينبغى أن تكونى نفسك.. أيها الشر. أيها الحيوان الضخم الحىّ الذى يَعيث فوقى ويلعقنى، فلتأخذنى إليك. إننى لك هذه الليلة، إننى امرأتك. فلتنفذ فى داخلى، مزقنى ولْتَتَضخم وتكوينى فى وسطى. هأنت ترى، إننى أرحب بك، إننى أساعدك، إننى أفتح نفسى.. فلتثقل علىّ بجسمك الضخم الأشعر، ضمنّى بين يديك الكبيرتين الخشنتين، وأنفاسك البحّاء على فمى، اخنقنى. إننى أحيا أخيرًا. أتعذب وأولَد. هذا عرسى. إنما عشت من أجل ليلةِ العشق هذه معك.

وأنت أيتها الليلة، أيتها الليلة الفادحة، أيتها الليلة التى تلغط بلَجبِ الصراع والصيحات المكتومة، أيتها الليلة المحتشدة بوثبات كل الحيوانات التى يطارد بعضها بعضًا، ويأخذ بعضها بعضًا إليه، ويقتل بعضها بعضًا. انتظرى قليلاً من فضلك لا تمرى بأسرع مما ينبغى.. أيتها الحيوانات التى لا عداد لها حولى، أنتِ تفلحين هذه

الأرض خِفْيةً، أيتها البراءات المخوفة، يا قَتَلة... هذا مايسميه الرجال ليلة هادئة، هذا الاحتشاد الضخم العملاق من المضاجعة والعشق الصامت القاتل. لكننى أحس بك، أنا، إننى أسمعك جميعًا، هذا المساء، للمرة الأولى، فى أغوار المياه والأعشاب، فى الأشجار، تحت الأرض.. دمٌ واحد بعينه يضرب فى شرايننا. ياحيوانات الليل، أيتها الخانقات، يا أخواتى.. ميديا حيوان مثلكنّ. ميديا سوف تستمتع وتقتل مثلكن. هذه الأرض تجاور أراضى أخرى، وتلك الأراضى تجاور أخرى حتى تخوم الظل، وفيها ملايين من الحيوانات تعشق وتذبح بعضها بعضًا فى نفس الوقت. ياحيوانات هذه الليلة. ميديا هنا. واقفة فى وسطكن، راضية، تخون عشيرتها. وأنا أُطلق معكنّ صيحتكنّ الغامضة. وأقبل الوصية السوداء مثلكن، دون أن أسعى للفهم بعد الآن، إننى أسحق تحت قدمى، وأطفئ ، النور الصغير، وآتى بالحركة المخجلة. وآخذ على نفسى وأتقبل، وأتطلب. ياحيوانات، أنا هى أنتنّ. كل ما يسعى الليلة للقنص ويقتل، هو ميديا.

المرضع : (تدخل فجأة) ميديا. لابدّ أن الطفلين قد وصلا إلى القصر، هناك همهمة كبيرة تصعد من المدينة. لست

أدرى ما جـريمتك، لكن الهواء يدوى بها منذ السـاعة. ألجمى الحصان بسرعة، ولنهرب، لنسرع إلى الحدود.

مـيـــديا : أهرب أنا؟ لو أننى كنت قد رحلت لعدتُ الآن أسـتمتع بالمشهد.

المرضـع : أى مشهد؟

الصـــبى : (يظهـر فجـأة) كل شىء قد ضـاع. المملكة والدولة قد انهارتا. المَلك وبنته قد ماتا.

مـيـــديا : ماتا بهذه السرعة؟ كيف كان ذلك؟

الصـــبى : جـاء طفلان عند الـفجـر يحمـلان هدية إلى كـريون، صندوقًا أسود يحـتوى على نقاب مطرّز بالذهب تطريزاً باذخـًا، وتاجًا ثمـينًا. وما كادت تمسـهما، ومـا كادت تزدان بهما، كبنتٍ صغيرة طُلَعةٍ أمام مرآتها، حتى هوت تتلوى بالألم الفظيع، وقد شوّهها العذاب.

مـيـــديا : (تصيح) دميمة؟ دميمة كالموت، أليس كذلك؟

الصـــبى : هُرع كريون، أراد أن يأخذها، أن ينتـزع النقاب والحلقة الذهبـية التى قـتلت ابنتـــه، ولكنـه مـا يكاد يمسهـما، حتى يشحب وجهه أيضا، ويتردد لحظة والهول فى عينيه ثم يتـردى، وهو يجـأر من الألم. رقدا أحـدهمـا إلى جـوار الآخر، هـما الآن يجـودان بأنفـاسـهمـا، همـا يتلويان، وقد تلاحـمت أوصالهما، ومـا يجرؤ أحد أن

يدنو منهمـــا. لكن اللجب يسرى أنك أنـــت التى أرسلت إليهما بالسمّ. أخذ الرجال عصيهم وخناجرهم، وهم يسارعون إلى العربة، لقـد جريت قبلهم، لن يتاح لكِ الوقت أن تُبرئى ساحتك. اهربى يا ميديا.

ميـــديا : (تصيح) لا.

(تصيح بالصبى الذى يفر)

شكرًا أيهـا الصغـير شكرًا للمـرة الثانيـة. اهربْ أنت. يَحـسُن ألا تكون لك بـى معـرفـة. طالمـــا بقى الناس يتذكرون، يحسن ألا يكون أحد قد عرفنى.

(تلتفت إلى المرضع)

خذى سكينًا يا مرضع. واذبحى الحصان، حتى لايبقى، فى التو، شىءٌ من أثر ميديا. ضعى حطبًا تحت العربة، سنوقد نارًا نفرح بها كما يفعلون فى كولشيد. تعالى.

المرضـع : إلى أين تسوقيننى؟

ميـــديا : أنت تعرفين. المـوت، الموت خفيفٌ مَـحْمَلُه. اتبـعينى ياعجوز، وسـترين لقد فرغتِ من جرّ عظامك العتـيقة التى توجـعك وفـرغت من الأنين والشكوى. وسـوف ترتاحين أخيرًا، يومَ أحد طويل.

المرضـع : (تنتزع نفسها وهى تجأر) لا أريد يا ميديا. أريد أن أعيش

ميـــديا : كم من الزمن ياعـجـوز تعيـشين، والمـوت يحـيط بك ويحطّ على كاهلك؟

(يدخل طفلان جـريًا يلقيان بأنفـسهما فـزعيْن فى أذيال ميديا)

ميـــديا : (تتوقف) آه. هذان أنتـما؟ أخائفـان أنتمـا؟ كل هؤلاء الناس الذين يجرون ويتصـايحون، هذه الأجـــراس.. كل ذلك سوف يصمت.

(تجذب رأسيـهما إلى الوراء، وتنظر فى أعينهمـا تتمتم)

البراءة مـصيـدة فى عيـون طفليْن، حيـوانين صغـيرين مـاكرين، رأسىْ رجـال. تحسـان بردًا؟ لن أوجعكمـا. سوف أكون سريعة. مـجرد لحظة من دهشةٍ للموت فى أعينكما.

(تلاطفهما)

هيـا، كىْ أعـيد إليكمـا الأمن. كى أضـمكمـا لحظة. جسديْن صغيريْن دافـئيْن.. المرء يشعر بإحساس طيب وهو يلتصق بأمه، ولا يـعود به خوف، يا حياتين صـغيرتين دافئتين، طالعتين من بطنى، يا إرادتين صغيرتين للحياة، وللسعادة...

(تصرخ فجأة).

چاسون. هاك عائلتك قد التم شـملها فى حنان. فانظر إليها. ولتـتساءل بعد ذلك أبـدًا مـا إذا لم تكن ميديا، هى أيضًا، قد أحبت السـعادة والبراءة. ما إذا لم تكن، هى أيضًا، باستطاعتها أن تعتنق الوفاء والإيمان. وعندما تتعـذب، فى التو، وحتى يوم مـوتك، فكر فى أنه كان هناك، ذات مرة، مـيديا بنتًـا صغـيرة متطلـبة وطاهرة. ميـديا صغـيرة رقـيقـة ملففـة ملثمـة فى أغوار مـيديا الأخرى، فكر فى أنها كانت لتصارع وحدها تمامًا، دون أن تمتد إليهـا يد، وأنها كانت هى امرأتـك الحقة. كنت لأريد يا چاسون ربما كنت لأريد أنا أيضًـا أن نعيش فى التَّبات والنبات، كـما يحدث فى الحكايات. وأنا أريد، أنا، أريد، السـاعـة أيضًا، وأريد، بمـثل قوة مـا أردتَ عندما كنـت صغيـرة، أن يكون كل شىء خيِّـرًا ونيِّرًا. لكن ميديا البريئة قد وقع عليها الاختيار أن تكون فريسةً وموقعة للصراع. . . أخريات أضعف بنية أو أكثر ابتذالاً يسعـهن أن ينزلقن من بين حلقـات الشبكة حـتى يبلغن المياه الساجـية أو يبلغن وحل القاع. أما الصيد الصـغير فالآلهة تنبذه. لكن ميديا صيدٌ ثمينٌ فى الشبكة، وهناك تبقى. الآلهة لا تحصل على هذه النعـمة من السماء كل

يوم، روحٌ من القوة بحيث تقف أمـام لقائهم، وتصمد لألعابـهم القذرة، لقد وضـعوا كل شيء علـى ظهرى، وَقَفوا ينظرون إلىّ أتخبط. فـانظر معهم يا چاسون آخرَ تلويات ميديا. علىّ أن أذبح الـبراءة بعد فى تلك البنت الصغـيرة التى ما أكـثر ما أرادت، وفى هاتـين القطعتين الصغيرتين الدافئتين من نفسى. إنهم ينتظرون هذا الدم، هم هناك فى الأعلى، وما عادوا يطيقون الانتظار.

(تجر الطفلين إلى العربة).

تعاليا يا صغيرين، لا تخافا. هأنتما تريان، إننى أمسك بكما، إننى ألاطفكما وسوف نعود ثلاثتنا إلى البيت...

(يدخلون الـعـربة. يبـقى المسـرح خـاويًا لحظة، تـظهـر المرضع شـاحـبـة مرهـقة، كـحـيـوان مطـارد يتـوارى، وتنـادى).

المرضـع : ميديا. ميديا. أين أنت؟ إنهم يصلون.

(تنكص وتصرخ فجأة)

(تندلع الـنار من كل جـانب وتُـحْـدق بالعـربة. يدخل چاسون مسرعًا على رأس رجال مسلّحين).

چاسون : أطفئوا هذه النار. أمسكوا بها.

مـيـديا : (تظهر مـن نافذة العربة وتـصيح) لا تقتـربْ ياچاسون. امنعهم من أن يأتوا بخطوةٍ واحدة.

چاسون : (يتوقف) أين الطفلان؟

ميـــديا : فلتتســاءل لحظةً واحدة أيضًـا. حتى أنظر فى عـينيك، وأُدقّق النظر.

(تصيح به)

لقد مـاتا ياچاسون. مـاتا مذبوحيْن كلـيهمـا، وقبل أن يسعك القـيام بخطوة واحدة سـوف تضربنى هذه النار. ومنذ الساعـة اتخذتُ صولجـانى، وقد ردّ إلى كولشـيد أخى، وأبى، وفرو الكبش الذهبى، واستردتُ وطنى، والعذريّة التى سلبـتَها منى. وأنا، أخيـرًا، ميديا، وإلى الأبد. انظر إلىّ قـبل أن تبـقى وحـدك فى هذا العـالم المنطقى المعـقول، انظر إلىّ ودقق النظر ياچاسـون. لقد لمستُك بهاتين اليـديْن، وضعتُهما على جـبينك الملتهب حتى يبرد، وفى أحيانٍ أخرى كانت هاتان اليدان ملتهبتين على جلدك، لقـد أبكيتك، وحملتك عـلى أن تعشق. انظر إليهماهما يدا أخيك الصغير امرأتك، ها أنا . هذه أنا. هذه ميديا بكل فظاعتها. حاول الآن أن تنساها.

(تضرب نفسـها وتتردى فى اللهب الذى يتـأجـج ويحـرق العـربة. چاسون يوقف الرجـال الذين هموا بالوثوب، بحـركةٍ من يده، ويقـول ببساطة)

چاسون : نعم، سأنساكِ، نعم، سأعيش، وعلى الرغم من الأثر الدامى الذى خلّفه مرورك بجانبى، سأعيد من الغد، فى صبر، إقامة البناء الهش الذى هو يقين الرجال تحت أعين الآلهة التى لا تبالى.

(يلتفت إلى الرجال)

فليقف أحدكم حارسًا على النار حتى لا يبقى منها غير الرماد، حتى تحترق آخر عظْمةٍ من عظام ميديا. وأنتم الآخرين، تعالوا، فلنعد إلى القصر. يجب أن نعيش الآن، وأن نكفل النظام، وأن نسنّ لكورينث قوانينها. ونُعيد، دون وهم، بناءَ عالمٍ على مقياسنا لكى ننتظر فيه أن نموت.

(يخرج مع الرجال فيما عدا واحداً يلفّ لنفسه سيجارة، ويقف، فى غير رضا، للحراسة أمام النار، تدخل المرضع وتأتى، على استحياء، لتقعد القرفصاء بجانبه، فى نور النار المعتم، الذى يستبين).

المرضع : لم يكن لأحدٍ الوقت أن يسمع إلىّ، أنا. ومع ذلك فعندى ما أقول. النهار يُشرق، بعد الليل، ويجب علىّ عمل القهوة، ثم تسوية السراير، وعندما يفرغ المرء من

الكنس، تبقى له لحظةٌ صغيرة من الراحة فى الشمس قبل تقشير الخُضَر. وعندها يكون شيئًا طيبًا، إذا كان المرء قد استطاع أن يوفّر لنفسه قرشًا أو قرشين، عندها يشرب المرءَ جرعة صغيرة من الخمر، يحسها دافئةً فى جوفه. وبعد ذلك يأكل المرء ويغسل الأطباق. وبعد الظهر هناك الغسيل أو المواعين، ويثرثر المرءُ قليلاً مع الجيران ويأتى ميعاد العشاء بكل هدوء فيتمدد المرء وينام.

الحارس : (بعد فترة) سيكون الجو لطيفًا اليوم.

المرضع : وستكون سنةَ خير. فيها شمس ونبيذ. وكيف حال المحصول؟

الحارس : انتهينا الأسبوع الماضى من الحصاد. وسندخل به غدًا أو بعد غد إذا ظلّ الجو حسنًا.

المرضع : والمحصول طيب عندكم؟

الحارس : ما يحق لأحدٍ أن يشكو. كل الناس ستجد لقمة العيش هذه السنة.

(تنسدل الستار فيم يتحدثان).

* * *